



حالة غريبة تعبر عنها المشاهدات اليومية للأحداث الحالية في المنطقة العربية تصيب المتابع بالدهشة إزاء المواقف العربية الرسمية في عدد من الملفات الساخنة التي تمثل نقاطاً للمواجهة بين العرب وإيران، أو بوصف أدق بين المحور السنوي الذي تزعمه المملكة السعودية وحلفاؤها وبين المشروع الإيراني الذي تتمدد مساحات نفوذه يوماً بعد يوم وتتسع دوائر تأثيره ويحرز مزيداً من النقاط لصالحه مقابل موقف مرتكب ومتعدد وهزيل من الجانب المضاد.

يقدم المشروع الإيراني في اليمن على يد الحوثيين الذين هم على وشك الإعلان عن دولة وسلطة جديدة موالية لطهران، وتمثل شوكة في ظهر السعودية وحلفائها وحتى الآن لا يمكن تفهم الموقف الباهت للعسكر الآخر الذي يبدو بضمته وكأنه بيارك ما حدث ولم نر ضغوطاً تمارس لتكوين معادلة سياسية متوازنة في اليمن الجديد ومع دخول تنظيم القاعدة على خط المواجهة مع الحوثيين في اليمن يبدو أن القاعدة صارت أكثر حرصاً على مواجهة المشروع الإيراني من العرب التائهيون!

أما المأساة السورية فتمضي الأمور لصالح بشار الأسد واستمرار بقائه في الحكم رغم كل المذابح التي ارتكبها في حق شعبه، وهذا ما يعني انتصاراً لإرادة طهران الحليف الأول والأساس لنظام بشار المجرم. وتقربياً ستسفر المعادلة السورية الجديدة – عقب الانتهاء من حرب داعش وتقليل أظافرها إذا نجح التحالف الأمريكي في ذلك – عن استمرار نظام بشار وتجميله ببعض وجوه المعارضة الموالية لبشار نفسه وبعض وجوه المعارضة الحقيقة التي ست فقد الأمل في إسقاط بشار وسترضخ للترتيبات الجديدة التي ربما سترعاها الدول الغربية والولايات المتحدة ومن ورائهم حلفاؤهم من العرب الذين لن يجدوا خياراً بديلاً ولا أوراقاً للضغط تعدل الصيغة التفاوضية في اتجاه جديد يكون عكس الإرادة الإيرانية وحليفها بشار أو حتى لصالح الشعب السوري الذي دفع ثمن الضعف العربي والصمت الدولي تشريداً وتهجيراً وقتلاً وإبادة.

أمريكا تغير مواقفها نسبياً من إيران وتعامل مع معادلة القوى الإقليمية التي تقف على رأسها إيران وتركيا بواقعية، ولكن

الغلبة حتى الآن للدور الإيراني الذي يمتلك أوراقاً أكثر للضغط في مناطق متعددة للصراع مثل سوريا واليمن والعراق ولبنان وغيرها بما يسمح للمفاوض الإيراني بالحصول على مكاسب داخلية تخص المشروع النووي وكذلك قضية العقوبات المفروضة من الدول الغربية، وكذلك قوية موقف حلفائه بالمنطقة.

نحن الان أمام تقدم إيراني وتراجع عربي أو غياب شبه تام عن التأثير في رسم ملامح المنطقة العربية الجديدة التي يعاد تشكيل جغرافيتها وتحالفاتها وأنظمتها الان، الأنظمة العربية التي ينتظر منها أدواراً تصنع التوازن مشغولة بمشاكلها الداخلية وبقمع شعوبها ومحاصرة الثورات والتأكد من إتمام إجهاضها بالتوازي مع تضخيم وتهويل خطر المتطرفين الإسلاميين الذين يشكلون فزاعة وعدواً مناظراً وسهلاً يمكن إقناع الشعوب بأنه سبب تأجيل الديمقراطية وسبب الغياب عن التأثير في الموقف الإقليمي ووقف تقدم زحف المشروع الإيراني.

يعتقد حكام العرب أن الخطر الأكبر الذي يجب أن يتحدوا ضده ويستنفروا قواهم هو الديمقراطية التي تهدّد كراسي حكمهم؛ لذلك لا يدخلون جهداً في اجتناث كلّ ما له علاقة بربع الثورات العربية ومن يدقق في المشهد العربي البائس يكتشف أن العرب لم يتوحدوا إلا لإجهاض الثورات ووأد الديمقراطية الوليدة عبر دعم الثورات المضادة وتغريب الثورات الحقيقة من مضمونها.

الحقيقة التي لا تدركها الأنظمة الحاكمة أن الديمقراطية لم تعد خياراً يمكن قبوله أو رفضه، الديمقراطية صارت قدرًا لن ينجو منه أحد، وكل من يحاول التصدي لها وتعطيل مسيرتها سبب بالفشل؛ لأن الخريطة السكانية للبلاد العربية تقول إنّ الشباب هم الغالبية التي لن ترضى أن تعيش عهود القهوة وأذمنة الصمت التي عاشها آباؤهم وأجدادهم، المشروع الإيراني سيواصل التمدد مع غيره من المشاريع الأخرى ولن تستطيع هذه العقول الشائخة والكراسي المهزّة والعمamas الخائفة أن تصمد وسط كلّ هذه التحديات وستنتهي دورة حياتها قريباً ليتسلّم القيادة جيل جديد يعرف كيف يواجه هذه التحديات ويصنع التوازنات ويحقق التقدم للشعوب التي أرهقتها جهل الاستبداد وأتعبها غبار التخلف والرجعية.

المستقبل ليس في صالح هؤلاء؛ لذلك سيعملون على حربه بشتى الطرق والوسائل، لكنها حرب خاسرة مهما طالت مدتها وتنوعت وتوحشت أشكالها.

طفان المستقبل قادم وسيغمر الجميع ويزيد الأصنام ليكتب صفحة جديدة في التاريخ تليق بهذه الشعوب.

التقرير

المصادر: